

تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك النجاي «سنغال»

«... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنة ومبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه... والفكرة الدائمة لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر.» (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتئذ عقلية قرآنية تستحق ان تنكف السياسة لجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم اغراءات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الامراض من الكتابيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتابيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتابيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور 1385 كتابا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطقه المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الاعلانات والمناشير التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشايخ يرسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب «دراسات اسلامية عن سنغال» يقول الافريقاني الفرنسي «بول مارتي» ان جميع المشايخ كانوا يرسلون السلطات الادارية بالعربية ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لاغراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقاني الفرنسي «روبير ارنو» Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

(1)

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الالوية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المسكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن اهم النواحي للتعريب في هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجاليين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريدية في جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سعد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الابناء باسمائهم واسماء من تفرع منهم . ولكون هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون في اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يخيرهم اسماء لواليدهم من المريدين وعلى من اهدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا تنسج الابوة الروحية عمل الابوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المهتدي الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم « محمد الامين » والسراري المهتدي باسم « ثسر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاقي المهتدي باسم « جول » ان يحمل اسم « علي » وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الدين سموا الحاج مالك والخليفة ابا بكره والحاج منصوره من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الدين سموا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمه للقيام بهذا

العمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا مرلنا ان هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . ادرکنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسمننا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية مموما في تعريب اعلام الاشخاص الا ان نتكلم من دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب يرت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاقت المريدية في تعريب اسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب اسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدئها مجارة للمريدية في دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها . فنشروا على ارضها هذه الاسماء اللطيفة في السمع مثل : طوبي - دار السلام - دار المصطفى - دار الفسفور - دار المنين - دار المنان - دار النسيم - دار العليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشام - مدينة - طالف - عالية - طوبي فال - طوبي كن ، وسموا سوق طوبي مهد المريدية هناك .

ونشاط المريدية في تعريب اعلام الامكنة يضاهيه نشاط التجانية في تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تباينت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المتهدين - دائرة المنة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والانصار - دائرة المتهدين - دائرة المحسنين - دائرة الابراء - دائرة الخليفة الاكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المومنين . الى غير ذلك من الاسماء الزناة التي اطلقت على مئات الجماعات .

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسماء التي يختارونها للقرى والأشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة فحرب الكثيرون منهم أسماء القرى التي اسسوها ويتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها أسماء مثل : فاس - نساط - طوبي - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الامضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او أسماء الجنود في احدى الثكنات العسكرية او أسماء التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من أسماء القرى والساكن والاشخاص المعربة .

فمت انا شخصيا لاختبار سرعة التعريب في أسماء الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المؤيدين المعدين من قوائم أسماء كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879 م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ في عام 1966 م

اما الطريقة التي سلكناها في هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمين الاوليين . وثبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار ماثان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم أسماء النواب المرشحين للانتخاب لحزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة أسماء النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

المذكور مكملتا بعشرين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي اكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة أسماء الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب أسماء هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفتت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يتراسلون ويدونون بها خواطرمهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الافعال الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم علامة المفاع على اصل الفعل والتلفظ بعلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الالف والتكلم القوائد ملتزمين فيها قوائين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الالف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها « المصدور » يتألف البيت منها من صدر ولقي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولقي . ومنها المحشو يحشي القسم الالف بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولفيين .

طبق المستعربون الفلايون والولفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات اغراض مختلفة كالقصة والوعظ والمدح والهجاء والثناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

بالإجماع ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من
اللغو المنافي للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الولىفة والعربية
ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما
والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الولىفة
من حيث الحفظ وإبقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة
تأثيرها فيها باندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من
المفردات الولىفة المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر
الاجلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين -
بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء
واللغويين الولىف ، وذلك بفضل المنهج الذى كانوا
يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على
انفراد بالكلمة الولىفة المرادفة لها . وبمرور قرون عدة
على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث
واللغة مثل مختصر خليل في الفقه
والورقات ومقامات الحريري ودواوين
الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه اثناء تطور لغة
الحديث بقيت اللغة الشبيهة بالكتوبة متحجرة
يتناقلها المستعربون كابرا من كابر وحفظت الكثير من
المفردات المندرسه من الدواكر . وفي العصر الحاضر
لا يمكن لاحد تأليف معجم ولىفي كامل قوي دونما
استمداد واستعانة بهؤلاء المعممين المدرسين في
الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم
المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الولىفة
المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل
وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستثبات من
هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الولىفة غير
المستعربين الى عدة دروس لدى احد المعممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الولىفة
وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الولىفة

فنتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الولىفة
خلال الاحتكاك الطويل بين اللغتين . والكلمات التى
انتحمت على الولىفة عربيا ما اتيح لها ذلك النصر
الا بالصبر على الجروح الفائرة التى اصابتها انشاء
المركبة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي
اصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة
عندما تفرد غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية
المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعنى
ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادق »
جميع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى
« فاسق » جزاء لدخولها الولىفة .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الولىفة الى
ذكر ما يتعرض الكلمة العربية من التحريف حينما
تدخل في اللغة الولىفة والى شرح ابرز قواعد
التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها
بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة
بالولىفة ، اصلا ، تعرض لتحريف لا محيد منه ، وهذا
زيادة على ضروب التعبير التى تترك اثرها في الكلمة
العربية . وهذه الحروف هي : ث ذ ز ش ص ض
ط ظ ع غ ه . اما اشهر دواهي التحريف المبني
فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به
الولىفي ل اظهار التحنن على المبر منه وهو مستعمل في
العربية ايضا ولكن بصورة تختلف من الصور الولىفة
في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف
آخرها ، وهكذا يقولون في :

زيتب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رقية	رق
نفية	نف	»	مبد	اب	حليمة	اله
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يلقبون الثاء ، والذال والزي والشين والصاد والفاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 - يلقبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وأني في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانتاجها أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولفية خصوصاً من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » أصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وبديل الراي في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا ..

3 - تقلب العين والهاء والحاء همزة في أول الكلمة وتحذف غالباً في وسط الكلمة : حبيب (ابيب) حليلة (الة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) هائلة (ايسة) هرون (آرون) محمد (مد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

الكلمات العربية المولفة :

الزواية (مكان تجمع الصوفية للذكر)	حساء	التهجي	اجل (نعم)
الزيارة	الخاتم	التوبة	آدم
الزكاة	الخبر	التوفيق	ابيس
الساعة	الخطبة	التيمم	الانين
السبب	ال خليفة	الثلاثاء	الاحد
السبب	الخميس	الجمعة	الاخرة
سجوح	الدائرة	الجامع	الاربعة
الشر	الدابة	الجان (الحبة)	اسرائيل
السجادة	الدار	الجاهل	الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)
السجود	الدبران	جبريل	البيت (الجزء من القصيدة)
السر	دجنبر	الجلباب	البدمة
السطر	الدراة	الجمعة	البسرادة
السطل	الدرجة	الجن	البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)
السكر	الدرهم	الجنة	البركة
السلام	الدينار	الجنزة	البطاقة
السلام عليكم	الدنيا	الجهاد	البلاء
السماء	الدواة	جهنم	البهيممة
السنة	الدبة	الجو	التخممة
السورة	الدين	الجيب	التربية (بالمعنى الصوفي)
الشرح	الذكر	الحاج	الترجمان
الشرط	ذو الوجهين	الحاجة	التبيح
الشريف	الراية	الحج	التفسير
الشفل	الربا	الحديث	التهمة
الشیطان	الركمة	الحرام	
الصابون	الركوع	الحرف	
الصبح	الروح	الحرمة	
الصدقة	الروضة	الحق	

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
 بهيم ليل سوادا فعادة نممه
 لكن للشيب نى فودي وجميعتي
 وخطا وخطا فعدراء النسا نيمه

— * —

الا ارمواء لمن ولت شبيبته
 واذا كنت بمشيب معلم هرمه
 بل كل شيف كريم القوم حوله
 قرى عليه وهذا شيبه كنمه

فاقره - ان ترى ما عشت شادي من
 هو الشفيح وكل قائل تلبه
 من ذاته كل ذات لازمت هرفا
 نى عشر شعرتها لو تفتدى سقمه

من كل جرم له قدر يعمره
 عند الفراغ فدهاء والفداد بيمه
 من دونه كل منطوق بحرف هجا
 نى الاسم الا الها غيره سكمه

من تحتته كل موجود له جهة
 من أي ست وربى اننى نرمه

محمد سيد السادات لا احد
 منهم مدائيه او قائل كنمه

صلى عليه اله المرفى ما رجيت
 شفاعة منه او قول له ولمه

يا من شفاعة يرجو وياملها
 اهل الكبار امثالي فدا نممه

فان جاهك عند الله منجمل
 هو العظيم نفسى الاحوال فتلكمه

احوال دنياي او احوال آخرتي
 او برزخ ثم من ذكراله ديلتمه

لا زلت انيبك واسمع ما اردده
 يا خير من برجييه مريج وبمه

وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاخي
 مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بيب :

الصراف	القلم	ما. رغبته عليه	الناقاة
الضر	القفلطان	مارس	النصراني
الضميف	القوال	الحراب	النفس
الطالب	القياس	المدارة	الهديفة
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقصة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مردائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المسكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصاحبة	الورد
الميب	الكمال	المعنى	الوفاة
الفوئ	الكرامة	المقامة	الولي
الفتنة	كش !	المكان	يرحمك الله
الفجر	الكفر	الملحفة	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملاك	يوم القيامة
القبر	الكوب	المهدي	الزمن
القبة	لا بد	المنبر	المرض
فدوس	الله	الميراث	اليهود
القعيدة	الروح	ميكانيل	القعبة
القطب	الماصوم	المنافق	الشر
القرنفل	المثال	لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب هبرة وبمه
 اراقها كلمتا سمدى بيه وبمه ؟

اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
 هول ومزج بدا لي انها بيمه

وان جبل وصال صار منصرما
 او واهنا خلقا تجدیده نممه

مالي اراشي ان لامت غائبة
 عصر الشباب تقبل او تقل بيمه

واليوم ان لامت خودا يدي لمبا
 تاففت ثم نادى : « يا ابي سرمه ! »

وكل ناهدة الشديين تلحظني
 بعين سخط فتعلي صوتها فوممه

وان لهوت تلمت او دنوت نأت
 وان اسل فجاب مندها خممه

كل كامب واعدتني زورة مثقا
 زمان شرخي ولما جئتها نغممه

أبدى الكجوري فنا في البديع « كمن
ندف « بديعا كما أبدى وما بديعا

ان الحقيقة بحر غاص فيه « تفسر
درو « عند التقاط الفائص الودعا

اجاد مدح النبي الهاشمي « نوح
سخلا ميم « واجاد المدح والقلمعا

فالايث ليث عريض الساعدين « كجس
جغم « تيقن ان قد طال ما صرعا

نفي وحوش الفلا عن ارضه « بجندو
جتي ج سو نم س « لايدا ولا ضيما

— * —

لكن هنالك شبل رابض « بجكي
ج خمن « ان سيجيد العيد والنقعا

لولا جياء وتقوى ربه « اكتم
د دول يم « شب برا عالما ورعا

وحرمة الشيخ « اكتم مولك مك ث بدون
ك ملن من « رد ماء جيشما نبعما

